

فقه الأسماء الحسنی

المخلق، البارئ، المصور

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢١-٠١-١٤٢٨هـ

تفریغ: المها

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurri.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد..

معاشر المستمعين؛ إن من أسماء الله الحسنى: الخالق، البارئ المصور.

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، أي: هو المنفرد بخلق جميع المخلوقات، وبرأ بحكمته جميع البريات، وصوّر بإحكامه وحسن خلقه جميع الكائنات، فخلقها وأبدعها وفطرها في الوقت المناسب لها، وقدر خلقها أحسن تقدير، وصنعها أتقن صنع، وهداها لمصالحها، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما خلق وهيئ له.

الخالق هو: المقدر للأشياء على مقتضى حكمته.

البارئ: الموجد لها بعد العدم.

والمصور أي: للمخلوقات والكائنات كيف شاء.

فالبارئ والمصور فيهما كما قال ابن القيم-رحمه الله- تفصيل لمعنى اسم الخالق، فالله -عز وجل- إذا أراد خلق شيء قدره بعلمه وحكمته ثم برأه، أي: أوجده وفق ما قدر، في الصورة التي شاءها وأرادها سبحانه.

قال ابن كثير-رحمه الله-: "الخلق: التقدير، والبرء: هو الفرء وهو: التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل."

تفسير الخلق هنا بالتقدير ينتظم به ذكر هذه الأسماء الثلاثة بهذا الترتيب:

فالخلق أولاً، وهو تقدير وجود المخلوق.

ثم برئه، وهو إيجاد من العدم.

ثم جعله بالصورة التي شاءها-سبحانه-.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، فالخلق أولاً ثم التصوير.

كما أن الخلق أولاً ثم البرئ، قال الله-تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والبرئة هم الخليفة، وقد خلقهم الله فجعل منهم الكافر ومنهم المؤمن كما قال -سبحانه-: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، فمن كان منهم مؤمناً مطيعاً فأولئك خير البرية، ومن كان منهم كافراً مشركاً فأولئك شر البرية، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٦-٨].

معاشر المستمعين، ولا بد من التنبيه هنا إلى أن شرك هؤلاء في اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله في العبادة- مع أن الذي برأهم هو الله وحده- أمرٌ في غاية السفَه ونهاية الضلال؛ بل إنه أعظم الظلم وأكبر الجرم؛ ولهذا ذم الله- تبارك وتعالى- بني إسرائيل في عبادتهم العجل وجعله شريكاً مع الله، والعجل حيوان بهيم لا يملك

لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً من أن يملك من ذلك شيئاً لغيره، وأن عملهم لهذا ظلم وأي ظلم! فقال- سبحانه-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقال قبل هذا بآيتين: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]، فالشرك أشنع الظلم وأفظعه، إذ كيف يُسوَّى المخلوق الناقص بمن أوجد الخليقة وبرأ النَسَمَةَ _ سبحانه الله عما يشركون!

قال ابن كثير- رحمه الله-: "وفي قوله هاهنا: ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره." اهـ

فكونه- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- البارئ وحده، فيه برهان جليٌّ على وجوب توحيده وإفراده بالعبادة.

وكذلك كونه- سبحانه- المصور وحده فيه برهان على وجوب توحيده وإخلاص الدين له، قال الله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

ولهذا حَرَّمَ- سبحانه- على عباده تصوير ذوات الأرواح؛ لما فيه من مضاهاة لخلق الله، ولما فيه من فتح لأبواب الشرك والضلال، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعتُ رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: ((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ)) وفيهما عن عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال: ((أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَصَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ)). وفيهما من حديث أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول الرب- سبحانه-: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ لِخَلْقِ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً))، وفيهما من حديث ابن عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يَعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)).

وفي هذا الحديث الأخير بيانٌ لصفة تعذيب المصور يوم القيامة بأنه يُكَلَّفُ نفخ الروح في الصورة التي صَوَّرَهَا وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبه.

معاشر المستمعين، ثم إن هذه الأسماء الثلاثة تنقسم إلى قسمين:

❖ فالبارئ قسمٌ مختصٌّ بالله- عز وجل-، فلا يجوز أن يُطلق على غيره بأي حال؛ لأن البرء- وهو الإيجاد من العدم- أمرٌ مختصٌّ به- سبحانه- فهو الذي برأ الخليقة وأوجدها من العدم.

❖ وأما الخالق المصور فإن استعملا مطلقين غير مقيدتين لم يُطلقا إلا على الرب، كقوله تَعَالَى: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وإن استعملا مقيدتين أُطلقا على العبد كما يُقال لمن قَدَّرَ شيئاً في نفسه: إنه خلقه.

قال الناظم أو الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري
أي: لك قدرةٌ تُمضي وتنقذ بها ما قَدَّرْتَه في نفسك، وغيرك يُقدَّرُ أشياء وهو عاجزٌ عن إنفاذها وإمضاها، ولهذا الاعتبار صح إطلاق خالقٍ على العبد في قوله- تعالى-: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أي: أحسن المصورين والمقدِّرين.

ومن لم يدرك هذا التفصيل أخطأ في هذا الباب، إما بنفي إطلاق خالقٍ ومصورٍ بهذا الاعتبار على المخلوق، أو أن يُثبت للمخلوق ما يختص بالله- عز وجل- من ذلك؛ وهو تفرُّده- سبحانه- بخلق وإيجاد جميع المخلوقات، دقيقتها وجليلها، والله- تعالى- يقول: ﴿أَيُّ شَيْءٍ كُنَّا مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإلى هنا تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاءٍ في حلقةٍ قادمةٍ إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

